البحث اللغوي عند ابن مرزوق الحفيد التلمساني في مخطوط "إظهار صدق المودة في شرح البردة"

أ. محمد فلاق

جامعة تيزي وزو

أ / التعريف بالمخطوط:

1- نسخ المخطوط: عرف كتاب ابن مرزوق "إظهار صدق المودة في شرح البردة" قبولا بين أقرانه من العلماء، ناهيك عن تلاميذه وعامة الناس، فأثار ذلك القبول والإعجاب اهتماما تجسد في شيوع الكتاب في بلدان مختلفة، تدلنا على ذلك كثرة نسخه التي تحفل بها مكتبات عدة، فلا تكاد تخلو مكتبة وطنية في البلدان العربية وبعض الدول الأوربية من نسخ لهذا الكتاب، في الجزائر وتونس والمغرب والسعودية والكويت والإمارات وفرنسا وإسبانيا.

تضم المكتبة الوطنية الجزائرية نسختين، أولهما المخطوط ذو الرقم (ح18) رمزت له بالحرف (أ) وثانيهما المخطوط ذو الرقم (ح2) رمزت له بالحرف (ب)

2- وصف النسخ :

أ- النسخة (أ) : عدد أوراقها ثلاثمائة وواحد، مبتورة بورقة من الأول وورقة من الأخير. تحوي تسعة وعشرين سطرا في كل صفحة منها. متوسط الكلمات في كل سطر ثلاثة عشرة. تاريخ نسخها مجهول. خطها نسخي واضح على نمط واحد من أول المخطوط إلى آخره. كتبت بمداد أسود. يضع ناسخها العناوين باللون الأحمر، ويصحح ما أخطأ فيه أو فاته في الهامش مع كتابة كلمة (صح)، ويكتب أبيات الشعر في سطور مستقلة مميزة بنقطة في أول

المنارة للاستشارات

البيت وآخره باللون الأحمر. وهي نسخة مُقَابَلة جيدة المراجعة والتصحيح، غير أن ترتيب بعض أوراقها مختل، لكن لم يكن ذلك عائقا، بل سَهُل تصويب ترتيبها لاعتماد الناسخ نظام التعقيبة أسفل كل صفحة. تتخلل هذه النسخة في بعض الأوراق تعليقات في الهامش بخط مغاير لخط الناسخ، وفي بعض التعليقات مقارنة بين شرح ابن مرزوق وشرح خالد الأزهري للبردة.

ب- النسخة (ب) : عدد أوراقها أربعمائة وستون ورقة. مبتورة بورقة من الأول وورقة من الأخير. في كل صفحة خمسة وعشرون سطرا. يضم كل سطر على الأغلب عشر كلمات. يجهل تاريخ نسخها أيضا. وهي بخط مغاربي بسيط واضح، يتغير من منتصف المخطوط إلى آخره بخط مغاربي متوسط الحجم أكثر زخرفة. وكتبت هذه النسخة كسابقتها بمداد أسود، والعناوين باللون الأحمر. ويستدرك الناسخ ما فاته في الهامش بكلمة (صح)، ويكتب أبيات الشعر في سطور مستقلة.

ب / سيرة ابن مرزوق الذاتية :

1- نسبه: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني المعروف بالحفيد، وهو لقب لتمييزه من جده المعروف بابن مرزوق الخطيب. إن بيت المرازقة "*كان ممن اشتهر بالعلم والرئاسة والفضل من بيوتات الجزائر وأعيانها*"[1]. وقال المقري في ترجمة ابن مرزوق الجد: "*هو بيت علم وولاية وصلاح لعمه وجده وأبيه وجد أبيه ولولديه محمد وأحمد وحفيده عالم الدنيا البحر أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق، وولد حفيده المعروف بالكفيف، وحفيد حفيده المعروف بالخطيب*"[2]. وعجيسة التي ينسب إليها، قبيلة قرب المسيلة يعود إليها أصل أسرة ابن مرزوق، التي ارتحلت عنها مع الشيخ أبي مدين شعيب التلمساني أواخر القرن السادس للهجرة. فلما استقرت في تلمسان صارت تنسب إليها[3].

المنارة للاستشارات

2- حياته: ولد ابن مرزوق الحفيد كما يذكر في كتابه شرح البردة ليلة الإثنين 14 ربيع الأول 766 هـ الموافق 8 ديسمبر 1364م بتلمسان، ونشأ في وسط معرفي يرغب في طلب العلم ومحبته، فحفظ القرآن الكريم ودرس على أبيه وعمه وبعض شيوخ تلمسان، ثم انتقل إلى فاس وبعدها إلى تونس يأخذ عن الشيوخ حيثما حل، وتوجه مع شيخه ابن عرفة إلى الحج ولم يطل به المقام بعد عودته إلى تلمسان حتى ارتحل إلى فاس مرة أخرى طلبا لتحصيل العلم، ومنها شد الرحال إلى المشرق فالتقى بعدد من ذوي الفضل والمكانة العلمية وأخذ عنهم.

لا زال ابن مرزوق بعدها في حل وترحال بين تلمسان وبلدان المشرق والمغرب يلتقي علماءها وفضلاءها، فاكتسب من العلوم والمعارف، وأجازه في فنون كثيرة علماء المغرب والمشرق والأندلس، حتى صار يعرف بعالم الدنيا وحجة الإسلام. وسواها من الأوصاف والألقاب، وتتلمذ عليه عديد ممن صاروا بعد ذلك أئمة في علوم مختلفة.

كانت وفاته بتلمسان يوم الخميس 14 شعبان سنة 842 هـ الموافق 30 جانفي 1439م ودفن بها في جنازة مهيبة، حضرها السلطان وكبار رجال الدولة والعلماء[4]، إنها سيرة حافلة بالترحال لاقتناء المعرفة من مصادرها الأولى.

3- ثقافته وعلمه: تعددت مصادر ثقافة ابن مرزوق بين العلوم الدينية وعلوم العربية والمنطق فكان كما وصفه تلميذه أبو الفرج بن أبي يحي الشريف التلمساني فيما ينقله المقري: "*جامع أشتات العلوم الشرعية والعقلية حفظا وفهما وتحقيقا*"[5]. فقد نبغ في ميادين علمية كثيرة. إنه "*مفكر أصولي محقق، ومفسر، ومحدث حافظ للرواية والسند و فقيه مالكي مجتهد حجة في المذهب، وناظم لغوي متضلع في النحو والبيان والعروض، ومفتي سُني ... وكان صوفيا زاهدا ورعا له كرامات، اطلع على علوم عصره وأخذ من كل*

المنارة للاستشارات

فن بأوفر نصيب ... فكان آية في تحقيق العلوم والإطلاع المفرط على المعقول والمنقول، وأتقن علوم الدين واللغة .."[6].

أما شيوخ ابن مرزوق، فنقتصر على ذكر أشهرهم، فمنهم ابن حجر العسقلاني وسعيد العقباني وأبو إسحاق المصمودي وابن عرفة وأبو العباس القصار والسراج البلقيني وابن الملقن وناصر الدين التنسي وابن جزي والحافظ العراقي. كما لقي الفيروزآبادي وأخذ كل واحد منهما عن الآخر[7]. ومن أشهر تلاميذه الولي عبد الرحمن الثعالبي صاحب تفسير الجواهر الحسان ويحي بن إدريس المازوني صاحب كتاب النوازل وأبو الفرج بن أبي يحي الشريف التلمساني والقاضي عمر القلشاني ونصر الزواوي وأبو الفضل المشدالي والسيد الشريف قاضي غرناطة والحافظ التنسي وابنه محمد بن مرزوق الكفيف.

كان ابن مرزوق من المشهود لهم بالعمق في العلوم والاجتهاد في الرأي حتى وصفه تلاميذه برئيس علماء المغرب على الإطلاق، كما أن الناس قد أجمعوا على فضله من المغرب إلى الديار المصرية وبأنه عديم النظير في وقته[8].

أسهب المقري في ذكره والثناء عليه في (نفح الطيب)، وسمّاه في سلسلته العلمية ثم أفرد له ترجمة طويلة نقتطف منها ما يدل على سعة علمه وإحاطته بمختلف المعارف الدينية واللغوية، ويبرز مكانته العلمية والأدبية : "*هو البحر الإمام المشهور الحجة الحافظ العلامة المحقق الكبير النظار المطلع المصنف المنصف التقي الصالح الناصح الزاهد العابد الورع البركة الخاشع الخاشي النبيه القدوة المجتهد الأبرع الفقيه الأصولي المفسر المحدث الحافظ المسند الراوية الأستاذ المقرئ المجود النحوي اللغوي البياني العروضي الصوفي الأواب الولي الصالح العارف بالله الآخذ من كل فن بأوفر نصيب، الراعي في كل علم مرعاه الخصيب*"[9]. ويضيف في موضع آخر: "*كان رحمه الله تعالى آية الله في تحقيق العلوم والإطلاع المفرط على النقول، والقيام التام على الفنون بأسرها*"[10].

المنارة للاستشارات

ينقل المقري قول أبي الفرج بن الشريف التلمساني، أنه تتلمذ في حلقة الإمام ابن مرزوق الذي كان يدرسهم من أمهات الكتب في علوم مختلفة، وجعل يسميها فمثلا ما يتصل باللغة والبلاغة قال "ومن *العربية نصف المقرب تفقها وجميع سيبويه كذلك، وألفية ابن مالك وأوائل شرح الإيضاح لابن أبي ربيع وبعض المغني لابن هشام ... وفي البيان التلخيص والإيضاح والمصباح وكلها تفقها...*"[11]، وهذه الأقوال تدل على فضل ابن مرزوق وسعة علمه، وهو ما سيتضح أكثر بالنظر في مؤلفاته.

4- مؤلفاته: تنوعت مؤلفات الإمام ابن مرزوق بين علوم اللغة والأدب والمنطق والفقه والحديث، نذكر عناوين كتب اللغة والأدب فيما يلي[12]:

1- إظهار صدق المودة في شرح البردة، ويعرف بالشرح الأكبر لأن ابن مرزوق له ثلاثة شروح على البردة، كان " الإظهار " أضخمها، وهو شرح لبردة البوصيري.

2- الاستيعاب لما في البردة من البيان والإعراب، ويعرف بالشرح الأصغر.

3- شرح على البردة (الشرح الأوسط)، لم يُثبت له عنوان في شتى المراجع التي تذكره.

4- الغاية القراطيسية في شرح الشقراطيسية، شرح لقصيدة أبي محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، أثبته السخاوي بعنوان "الذخائر القراطيسية في شرح الشقراطيسية " ووافقه البغدادي في ذلك، وأضاف عنوانا آخر هو "المفاتيح القراطيسية في شرح الشقراطيسية " على أنهما كتابان[13].

5- المفاتيح المرزوقية في حل الأقفال واستخراج رموز الخزرجية في العروض.

6- إيضاح السالك على ألفية ابن مالك. شرح لم يكمله .

7- شرح التسهيل، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك .

المنارة للاستشارات

8- منظومة رجز في تلخيص المفتاح / المفتاح هو مفتاح العلوم للسكاكي في البلاغة.

أما التلخيص الذي نظمه ابن مرزوق فهو للقزويني .

9- منظومة رجز في تلخيص ألفية ابن مالك.

10- مجلد في شرح شواهد شروح ألفية ابن مالك.

11- ديوان خطب.

هذا ما تثبته كتب التراجم والمصنفات لابن مرزوق الحفيد من كتب اللغة والأدب يضاف إليها كتب أخرى في الدين والمنطق وأخرى منوعة، وهو كما يظهر غزير الإنتاج، نوّه غير واحد بقيمة تآليفه وفضلها، فكان بذلك قرين علماء القرنين الثامن والتاسع للهجرة موسوعيّ المعارف. إن تصانيفه الكثيرة المنوعة دالة على ذلك. كما يتضح من استعراض هذه المؤلفات اهتمام ابن مرزوق بشرح أمهات الكتب ونظمها زيادة على مؤلفاته العلمية الأصيلة.

ج / القيمة العلمية للكتاب / دراسة المضمون :

1- أهمية الكتاب: عُني العلماء المغاربة قديما بشرح النصوص الشعرية، وكانت الظاهرة البارزة التي تنتظم أغلب العصور هي اتجاه الشراح إلى نصوص بعينها، على رأسها "البردة" والهمزية "للبوصيري، و"بانت سعاد" لكعب بن زهير، و"لامية العرب" للشنفرى وديوان الشعراء الستة[14] ودواوين الحماسة والمتنبي والمعري.

وبالرجوع إلى ما قبل عصر ابن مرزوق، يتبين أن انصراف المغاربة إلى هذا اللون من التأليف، ونقصد الشروح اللغوية والأدبية، كان محكوما أكثر ما يكون باتجاهين بارزين:

- الاتجاه الأول: تقليد تعليمي درج عليه أهل المغرب العربي وبلاد الأندلس على السواء، حيث "كان حفظ الأشعار العربية وعلم معانيها ومعرفة

المنارة للاستشارات

ما فيها من خبر ولغة وأغراض بلاغية وميزات فنية جزءا هاما يقرر على الطلبة في حلقات الدرس، ويأخذ به الدارس نفسه من حفظ وفهم ودراية "[15].

ومن أهم ما يدخل في هذا الباب من تأليفات:

- شرح ديوان صريع الغواني للطبيخي (ت 352 هـ) .
- شرح ديوان المتنبي لابن الإفليلي (ت 441 هـ).
- شرح على الشعراء الستة للأعلم الشنتمري (ت 472 هـ).

تبدأ هذه الشروح غالبا بشرح الألفاظ شرحا لغويا، ثم بسط المعنى المقصود من البيت أو الفقرة، وإعراب بعض الكلمات أحيانا التي يترتب عنها توجيه المعنى، مع التعرض لبعض المصطلحات العروضية والبلاغية والإفادة منها[16].

- الاتجاه الثاني : اتجاه التذوق الجمالي، حيث ظهر علماء من أهل اللغة والبلاغة والأدب: "انصرفوا إلى الشروح مكتفين بتذوقهم هذا، واستخلاص القيم الجمالية من النصوص نفسها، وكأنهم أيضا مالوا إلى سوق الذوق والتذوق إلى الدارس عمليا ومن خلال الجمل والفقرات والأبيات ... [مع] ملاحظات بلاغية ونقدية "[17].

وأهم ما أُلّف في هذا الاتجاه :

- شرح مشكل أبيات المتنبي لابن سيده (ت 458 هـ).
- شرح ديوان سقط الزند للمعري لابن السيد البطليوسي (ت 521 هـ).

تجمع هذه الشروح بين الشرح اللغوي وشرح المعاني مع الإشارة إلى الشائع منها والمبتكر، وملاحظة وجوه البيان، بمعالجة جزء من المعنى معالجة منطقية أو حتى فلسفية، وقد يتخللها بعض الملاحظات اللغوية والنحوية [18].

إن تأثير هذا المنحى في تكوين الشخصية العلمية لابن مرزوق ظاهر وقوي لكنه ليس الخلفية المعرفية الوحيدة التي ينطلق منها في إنتاجاته. فقد كان لاطلاعه الواسع على أمهات الكتب المشرقية في سائر الفنون أثر كبير في بناء

المنارة للاستشارات

فكره وثقافته، إذ درس كتب اللغة والنحو والبلاغة والنقد والمنطق وعلم الكلام وأصول الفقه والحديث وتفسير القرآن والتصوف وبعض العلوم التجريبية وأحصى مسائلها وقضاياها. عرفنا ذلك عند التطرق لثقافته وعلمه بالأخص عند ذكر الكتب التي كان يُدَرِّسها لتلامذته. وبالإضافة إلى هذا استوعب ذخيرة بيئته المغاربية وعلومها، فانصهرت عنده المعارف لتشكل ثقافته الموسوعية التي انبنت قناعاته على أساسها.

- **موقع كتاب "إظهار صدق المودة" بين كتب الشروح اللغوية والأدبية :**

يذهب محمد العمري في مقدمة تحقيقه لكتاب (المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل) للإفراني، إلى تقسيم هذه الشروح حسب إشكالية النص والغرض المتوخى من الشرح ثلاثة أنواع هي :

1- شرح نصوص دينية، تتعلق في الغالب بمدح الرسول (ص). وتثير قضايا صوفية.

2- شروح تستهدف غاية لغوية تعليمية.

3- شروح تتجه إلى القيمة الأدبية للنص، وتَعُدّ الشرح اللغوي والإعراب والتخريجات البلاغية وسيلة لاجتلاء درر المعاني[19].

يجمع كتاب ابن مرزوق بين اتجاه اللغة والبلاغة والأدب من جهة والاتجاه الديني من جهة أخرى، إذ يقول ابن مرزوق : "*فوضعت عليها شرحا يذلل من اللفظ صعابه، ويحط من وجه المعنى نقابه، وجعلت الكلام على ما أشرحه من أبياتها في سبع*"[20]، هي : شرح غريب الألفاظ، وتفسير الأبيات واستخراج ما فيها من المعاني والبيان والبديع، وإعرابها، والتنبيه لإشاراتها الصوفية.

2- **منهج ابن مرزوق في الشرح :** بَسَط ابن مرزوق المنهج الذي سار عليه في شرح القصيدة ويسره. فقال مبينا طريقة الشرح التي ينتهجها :

"*وجعلت الكلام على ما أشرحه من أبياتها في سبع تراجم:*

المنارة للاستشارات

*أولها : **شرح الغريب**، في شرح لغات الألفاظ المفردة وما يتعلق بها من التصريف.*

*ثم **التفسير**، في شرح المعنى المقصود من تراكيب الجمل.*

*ثم **المعاني**، في ذكر حكم خواص الكلم المستعملة في ذلك التركيب دون غيرها إفرادا وتركيبا.*

*ثم **البيان**، في ذكر وجوه التركيب من وضوح دلالته على المعنى المراد وبيان الحقيقة منه والمجاز، وما ينخرط في سلك ذلك المعنى من ذلك الفن.*

*ثم **البديع**، في ذكر وجوه ما في ذلك التركيب من المحاسن اللفظية والمعنوية.*

*ثم **الإعراب**، فأذكر منه الوجوه القوية الظاهرة دون غيرها ، وهي ترجمة معينة على فهم معاني الأبيات.*

*ثم **الإشارات التصوفية** ، أذكر منها ما يمكن أن يكون إشارة ظاهرة إلى المعنى المذكور ... وربما أضفت إلى هذه التراجم بأثر ترجمة التفسير ترجمة ثامنة إلا أنني لم أبوب لها أذكر فيها ما يوافق المعنى الذي قصده الناظم من شعر لغيره أو نثر، ليكمل بذلك قصد الشرح "*[21].

إن اعتماد ابن مرزوق هذه المستويات الشرحية السبعة، وهو أمر لم يُسبق إليه يُبين للقارئ أن عمله يقوم على تصور منهجي محكم وخطة صارمة، إذ حاول أن يحيط بكل جوانب النص وزواياه : اللغوية (المعجمية والصرفية) والتركيبية (النحو) و الدلالية (التفسير) والبلاغية (المعاني والبيان والبديع) والإشارية (الإشارات الصوفية)، مع إثارة مختلف المسائل المتعلقة بمعاني النص وظروفه (تاريخية ودينية).

3- إستراتيجية البحث اللغوي في الشرح (المعاني المعجمية والنحوية):

تظهر في مستويين اثنين، هدف بهما إلى فهم معاني الألفاظ وفحوى التراكيب هما: ترجمة شرح غريب الألفاظ وترجمة الإعراب.

المنارة للاستشارات

أما شرح الغريب فكان يأتي فيه بكل المعاني المعجمية التي تفيدها اللفظة المفردة، والتي تكون مناسبة لمعنى البيت وسياقاته، في حين يترك المعاني البعيدة التي لا تصلح للمعنى الذي أراده الشاعر. وقد سمَّى هذا المستوى بشرح الغريب دون أن يقدم تعريفا لمصطلح الغريب الذي ثبتت المعاجم وبعض المؤلفات التراثية دلالاته.

كما أنه كان يقدم المداخل المعجمية لأغلب ألفاظ البيت بما فيها الواضحة منها. أما المادة اللغوية فكان أكثر اعتماده فيها على (معجم الصحاح) للجوهري، إضافة إلى شروحه الخاصة وما ينقله عن علماء اللغة الآخرين بشكل يسير.

إن ابن مرزوق يستعرض للفظة الواحدة مادتها المعجمية المتعددة، من حيث هي حزمة واحدة تسهم بمجموع أفرادها في تشكيل معنى اللفظة وتحديده. وتتحول هذه الحزمة بدورها إلى جزء أساس في بناءٍ أكبر هو معنى البيت الشعري أو مجموعة الأبيات، بحيث ينضبط الكل في تناسب.

من ذلك قوله في لفظة " تذكر " :

التذكير مصدر تذكر تفعل، من الذكر وله معان، هو هنا ضد النسيان، قال الله تعالى (وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ)[22]، وفسر بالحفظ أيضا لأنه ضد النسيان ويقال ذكر غير ممنون، وليكن هذا على ذِكر منك بكسر الذال وضمها أي لا تنسه، وذكرت الشيء بعد النسيان، وذكرته بلساني أي نطقت به وبقلبي، وتذكرته واذكرته وذكرته بمعنى ومنه (وادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ)[23] أي ذكر بعد نسيان كذا فسر الجوهري[24]، وأصله اذتكر أبدلت التاء دالا وأدغمت فيها الذال بعد إهمالها، ومنهم من يعجم الدال المبدلة من التاء ويدغم، والأول أكثر.

ويطلق التذكر أيضا ويراد به تردد الفكر الذي محله البطن الأوسط من [الدماغ الذي هو محل القوى الحافظة، على الخلاف في] كيفية نشئه عنه ليس

المنارة للاستشارات

هذا محل بيانه، وإن كان التردد لتذكر ما نسي مما جعل في الحافظة سمي تذكرا، والأول عند المعتزلة يولد العلم دون[25] *الثاني، ويحتمل تفعل المذكور مصدره في البيت من المعاني أن يكون مطاوع فعل كعلمته فتعلم، أي ذكرته فتذكرت، أو التكلف [كتصبرا]، ولا يخفى بيانه في التفسير والصيرورة كأيمت المرأة صارت أيما، أو الإتحاد كبيت الحي، أو مواصلة العمل في مهلة كتفهم، أو موافقة المجرد كتعدَّى الشيء وعداه جاوزه، وذكر بعضهم أنه يحتمل أن يكون للتكثير ولم أر من معاني تفعل التكثير، إلا أنهم نصوا أنه يكون لموافقة فعَّل ومن معانيه التكثير، وهو لائق هنا "*[26].

أما الإعراب فصرح فيه أنه قد اقتصر على الوجوه القوية الظاهرة دون سواها من الوجوه. ولا شك أن تبيُّن محل إعراب الألفاظ والجمل معِين على فهم المعاني. فأوْجه الإعراب تُنتج معاني نحوية تُوَجِّه المعنى الكلي وتُثْريه.

غير أن ابن مرزوق أخّر مستوى الإعراب فكان بعد مستويات البلاغة والأحسن تقدمه عليها لدوره في التدليل على المعاني. ولعل سبب هذا التأخير مردّه إلى كون هذا المستوى سابقا في التأليف ضمن شرحه الأصغر (الاستيعاب) الذي أشرنا إليه في ما تقدم.

4- ابن مرزوق والتراث : يقف الناظر في "إظهار صدق المودة " على حقيقة سعة اطلاع ابن مرزوق على كتب اللغة والبلاغة والنقد والأدب، ويدرك تمكنه من دقائق العلوم واستقصاء مسائلها، يتجلى ذلك في أسماء الأعلام الذين نجد لهم ذكرا في "الإظهار"، كما يتجلى في النقولات العديدة التي ضمنها فيه.

وإن كان ابن مرزوق يذكر بعض الكتب التي اتخذها مراجع لشرحه إلا أن ذلك لم يطّرد في الكتاب، فنجد أنه ينسب القول إلى صاحبه مكتفيا بعبارة " قال بعضهم..." ويتصرف بأسلوبه الخاص فينقل الرأي وليس العبارة الحرفية.

المنارة للاستشارات

وممن جاء ذكرهم في الكتاب من علماء النحو واللغة نذكر مثلا : سيبويه وابن مالك والخليل بن أحمد وابن الأعرابي وابن الأنباري والفراء والأخفش وابن السكيت وابن جني وابن عصفور وابن حيان الأندلسي والكسائي وأبو زيد الأنصاري وأبو حاتم السجستاني وأبو عمرو بن العلاء والأصمعي والثعالبي والأزهري والجوهري .. وغيرهم من النحاة واللغويين الأوائل إضافة إلى معاصريه كأبي العباس القصار التونسي ..

ومن الكتب الذي نجد لعناوينها ذكرا في الشرح : التسهيل لابن مالك وقصد السبيل في شرح التسهيل لأبي العباس الشريف الغرناطي، ولب الألباب لابن مالك، ومختصر العين للزبيدي، والنوادر لابن الأعرابي.

كما يذكر المؤلف أحيانا الرأي لصاحبه دون الإشارة إلى المصدر الذي أخذ منه، ومن ذلك النقولات الكثيرة عن سيبويه وابن مالك، وكذا عن الخليل، في حين غابت عناوين المصادر، التي أهمل ذكرها لشيوعها واشتهارها بين الناس على الغالب.

في هذه المسافات الممتدة، كان مسار ابن مرزوق في الشرح. إنه يدير حوارا تفاعليا يجمع بين الآراء المختلفة، يستعرضها الواحدة بعد الأخرى مناقشا أدلتها ومرجحا أحيانا، وغير مرجح في كثير من الأحايين.

المنارة للاستشارات

خاتمة: سمحت دراسة مباحث اللغة في مخطوط ابن مرزوق الحفيد التلمساني، الموسوم "إظهار صدق المودة في شرح البردة"، بالتوصل إلى نتائج تتمثل إجمالا في الإحاطة بالتصور المنهجي الذي يقوم على أساسه شرح النصوص الشعرية، وبقيمة المسائل المندرجة ضمن علوم اللغة، التي يتوقف عليها الفهم وتوجيه المعنى.

تبين لنا من خلال هذا أن عمل ابن مرزوق يقوم على خطة محكمة، إذ حاول أن يحيط بالجوانب اللغوية المعجمية والصرفية، والجوانب التركيبية النحوية، مع عدم إهمال الجوانب البلاغية، إضافة إلى إثارة كل ما تعلق بمعاني النص وظروفه من مسائل مختلفة، في منحى لساني بلاغي.

بمثل مستوى هذا العمل، يُعَد ابن مرزوق عَلَما من أعلام اللغة والأدب في الجزائر والمغرب العربي، وواحدا من أعلام مدرسة الدراية والممارسة (في مقابل مدرسة الرواية والتبعية). كما أن كتاب "إظهار صدق المودة"، وإن كان يتناسق مع ما كان سائدا عند العلماء المغاربة والأندلسيين في تآليفهم، التي تجمع من المادة اللغوية والبلاغية والفوائد الأدبية والتاريخية قدرا وافرا، إلا أنه يثبت تميّزه منها من خلال قيمته المنهاجية التأطيرية وقيمته التحليلية، اللتين تكشفتا في أثناء هذا البحث.

الهوامش:

1- عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج2، دار الحياة، بيروت 1965، ص 210.

2- أحمد بن محمد المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج7، دار الكتب العلمية، بيروت 1995، ص 395.

3- ينظر : عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص 115.

4- ينظر: يحي بوعزيـــز: أعلام الفكر والثقـــافة في الجزائر المحروسة، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1995، ص 51 / 56.

5 - المقري : نفح الطيب، ج7، ص 397.

المنارة للاستشارات

6 - أبو عمران الشيخ وآخرون : معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلب، الجزائر 2000 ص 428.

7- ينظر : عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات تح : إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط 2، بيروت 1982، ص 524. وينظر : شمس الدين السخاوي الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج7، دار الحياة، بيروت (د.ت)، ص 50. وينظر: عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين، ج3، مؤسسة الرسالة، ط 1 بيروت 1993، ص 97.

8 - ينظر : أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1 بيروت 1998، ص52 .

9 - المقري : نفح الطيب، ج 7، ص 394.

10 - المرجع نفسه، ص 395.

11 - المرجع نفسه، ص 398.

12 - ينظر : أبو القاسم محمد الحفنـــاوي : تعريف الخلف برجال السلف، تح : محمد رؤوف القاسمي الحسني، دار موفم للنشر، الجزائر 2007، ص 156.

وخير الدين الزركـــلي : الأعلام، ج5، دار العلم للملايـــين، ط 5، بيروت 1980، ص331.

والمقري : نفح الطيب، ج7، ص 402.

وابن مريم التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح : محمد بن أبي شنب المطبعة الثعالبية، الجزائر 1908، ص 210 .

13- اسماعيل باشا البغـــدادي : هديـــة العارفيـــن أسماء المؤلفين وآثـــار المصنفين، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت)، ص 192.

14- الشعراء الستة هم : امرؤ القيس والنابغة الذبياني وعلقمة بن عبدة وزهير بن أبي سلمى وطرفة بن العبد وعنترة بن شداد.

15- محمد رضوان الداية : تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، مؤسسة الرسالة، ط 2، بيروت 1993، ص 71.

16- المرجع نفسه، ص 74.

17- محمد رضوان الداية : تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، ص 72.

18- المرجع نفسه، ص 169.

المنارة للاستشارات

19- محمد العمري : مقدمة تحقيق "المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل" للإفراني، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب 1997، ص 20.

20- (أ): الورقة 1.

21- (أ): الورقة 1.

22- سورة الكهف، الآية 63.

23- سورة يوسف، الآية 45.

24- ينظر: اسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ج3، تحقيق : أحمد عطار دار العلم للملايين، ط 4، بيروت 1990، ص228.

25- في (ب) : من.

26- (أ): الورقة 2.

المنارة للاستشارات